المسرح من يوسف وهبى إلى الفرقة القومية
(١٩٢٣م - ١٩٣٥م)

تأثير ثورة ١٩١٩م:

لا شك أن ثورة ١٩١٩م وما تلتها من أحداث قد تركت آثارها على الشعب المصرى.. فقبل الثورة كان الشعب المصرى يشعر كله بأنه يحارب هدفًا واحدًا ألا وهو الاستعمار البريطانى.. لذا اتحدت كل طوائفه وأحزابه من أجل هذا الهدف.. وقد وجدنا أثر هذا الفن.. فوجدنا الفن يأخذ صفة الجماعة فى الأعمال.. وظهرت التضحية واضحة بين الفنانين.. ولعل أكبر مثال على هذه التضحية إقدام الفنان نجيب الريحانى بافتتاح أوبريت «العشرة الطيبة» رغم الخسارة المالية الفادحة التى كانت متوقعة لإنتاج مثل هذا الأوبريت على جمهور لم يكن يقبل من الريحانى بالذات إلا

كشــكش بك ونكاته الخارجة.. وكان أكبر مثال لجماعة الفن هو النشــيد الخالد «بلادى بلادى» الــذى اختلفوا مرات فى مؤلفه.. وإن كان هناك إجماع على أن ملحنه ســيد درويش.. وأن ســيد درويش لم يكن هو الملحن الحقيقى لنشــيد بلادى بــلادى.. بقدر أن هــذه الألحان كانت ما هــى إلا إيقاعات وزفرات الجماهير الزاحفة المتحفزة للنضال.. واســتطاع سيد درويش بذكائه الخارق وحاسته الفنية المرهفة أن يحول هذه الزفرات إلى أنغام وإيقاعات فنية معبرة.. وشحذ الجميع دون تفرقه.. مســلم أو مســيحى.. غنى أو فقير.. ليخرج الجميع معبرين عن مشاعرهم تجاه الثورة.

ولمــا انتهت الثورة بالنتائج التــى اعتبرها البعض مخيبة للآمال.. واعتبرها البعض الآخر خطوة على الطريق.. وانتهت هــذه الثــورة الوطنية.. وبــدأت طبقة البورجوازيــة الجديدة تظهــر.. وتطلع الكثير للحصول علــى أكبر غنيمة.. ولاحت فى الأفــق انتخابات مجلس النــواب.. صاحب هذا نوع من الانقســام والفردية فى المجتمع المصرى.. وبالتالى كان لابد أن تظهــر آثار هذه الطبقة البورجوازيــة فى الفن.. فتحولت

الأناشـيد الجماعية النابعة من صميـم المجتمع.. إلى أغانى فردية كان الاهتمام فيها بالتطريب والسلطنة وإظهار حسنات الصوت أهم كثيرًا من اللحن ( ).

أما بالنسـبة للمسرح فكان الشعب مستعدًا لنقل فن جديد يثيـره أكثر إثارة من الثورة المصريـة التى لم تحقق نتائجها كلهـا.. لذلـك فقد نجحـت الميلودرامية الحـادة التى أتى بها يوسـف وهبى.. وجرفت أمامها جميـع الألوان الأخرى مـن الدرامـا.. حتـى أن نجيـب الريحانى حـاول أن يقلد ميلودراميات يوسـف وهبى فقدم على المسـرح عام ١٩٢٧م مسـرحية ريا وسـكينة..ولكنها لم تلاقى نجاح ميلودراميات يوسـف وهبى.. ولعل ذلك كان يرجع إلى اختلاف شخصية يوسف وهبى عن نجيب الريحانى.

يوسف وهبـى وفرقـة رمسيس:

يعتبر يوسـف وهبى صاحب ثورة فى المسرح المصرى.. بدون شـك فقد اسـتطاع أن يرسـى قواعد وأصول للمسـرح المصـرى.. لازالت سـارية حتـى اليوم.. ونجـح بجهوده وشـخصيته فى تغيير النظرة عن «المشـخصاتى» وهو اللقب

الــذى كان يطلق على الممثل بل ويعطيه وضعه الاجتماعى.. وأن يصبــح الممثل شــخصًا محترمًــا.. يحترمــه الجميع.. وتســمع المحاكم شــهادته.. بعد أن كان ممنوع سماع شهادة «المشــخصاتية».. بل تطور الأمر لأكثر واهتمت الدولة بالفن وروعته.. ووجدت الممثلين يحملون الرتب والنباشين.. حتى وصل الأمر لأن يصير الفن ممثلا للشعب فى المجالس النيابية.. ويرجــع الفضــل الأول فى كل هــذه الأمور ليوســف وهبى.

وعلاوة على شخصية يوسف وهبى الطاغية.. التى كانت تشــبه إلى حد كبير شــخصية راســبوتين من ناحية القوة.. وبالمناسبة فقد احتوت شخصية راسبوتين يوسف وهبى حتى أنه قدمها على المســرح كأحسن ما يكون.. بل ربما كان من أحسن من قدمها على المسرح العالمى بصفة عامة.. أقول أنه علاوة على شــخصية يوســف وهبى الطاغيــة.. فقد كان ابن حسب ونســب.. فأبوه هو عبد الله باشــا وهبى مفتش الرى المصرى.. وحتى تعرف من هو مفتش الرى فى ذلك الوقت.. فأحب أن أوضح أن مهندس الرى كان يسوى تمامًا فى أهميته مأمور البوليس.. أما مفتش الرى فكان أهم من مدير المديرية..

الذى كان سـلطانه ومركزه أهم من الوزير فى عصرنا الحالى.

كما ورث يوسـف وهبى من أبيه بعـد وفاته مبالغ طائلة نفعته فى الإنفاق منها على المسـرح كما ساعده أخوه الأكبر إسماعيل بك وهبى المحامى الكبير صاحب الجاه والصولجان والثروة.. وإسماعيل وهبى كان متزوجًا من ابنة مدكور باشا.. إذن فيوسـف وهبى شـخصية فريدة لم تظهر على المسـرح شـخصية نظيرها حتى وقوفه على المسـرح فـى ١٠ مارس ١٩٢٣م بأولى مسـرحيات فرقته التى عُرفت باسـم مسـرح رمسـيس.. لذلك كانت شخصيته ساحرة واستطاع أن يخلب عقول الملايين من المصريين.. التى كانت تسـعى لمشـاهدة ابـن الأصول.. وصاحب الفـن القادم من أوربـا.. فقد درس يوسـف وهبى المسـرح فى إيطاليا.. قبل أن يعود إلى مصر.

وكان عبـد الله باشـا وهبـى غاضبًـا علـى ابنـه لتركه الدراسـة.. واتجاهـه إلـى الفـن وإلقائـه المونولوجات فى النوادى.. مما دفع يوسـف وهبى للهرب إلى أوربا ودراسـة المسـرح فـى إيطاليـا.. وكانت والدته وشـقيقه إسـماعيل يمـولاه بالمال سـرًا.. وعند دنو أجل أبيـه صفح عنه وطلب

أن يـراه.. ولكن عبد الله باشـا وهبى مات قبـل أن يعود.. وبموت أبيه ورث يوسـف ثروة طائلة.. لذا اسـتدعى صديقه عزيز عيد ومختار عثمان إلى أوربا وتشـاوروا فى أمر إنشـاء فرقة رمسـيس.. واشتروا لها الأجهزة الخاصة بها من أوربا.

وقـد انضم إلى فرقة رمسـيس معظم فنانـى ذلك الوقت أمثـال: أحمد علام – فاطمة اليوسـف – زكـى طليمات – فاطمـة رشـدى – أمينة رزق – حسـين ريـاض – وغيرهم حتـى جورج أبيض انضـم للفرقة( ). وقد انشـق عن الفرقة بعـد ذلك الكثيـرون.. أمثال: فاطمة اليوسـف التى اعتزلت الفن وأسسـت مجلتها روزاليوسـف.. وفاطمة رشدى وعزيز عيد اللذان ألفا فرقة فاطمة رشـدى.. ورغم هذه الانشـقاقات والتيـارات ظل يوسـف وهبى يقدم مسـرحياته بنجاح كبير حتـى عام ١٩٣٠م .. وهناك سـافر يوسـف وهبـى بفرقته إلـى رحلـة فى البرازيل حيث خسـر كل شـئ.. ورغم هذا استمرت فرقته تعمل.. ولكن ليس بحماس السنين التى قبلها.

يضاف إلى ذلك عامل آخر.. فقد عاد صديق صبى يوسف وهبى وزميله محمد عبد الكريم.. وكان يحلم بأن يقدم سـينما

مصرية.. وفعلًا أنتج له يوسف وهبى فيلماً من إخراجه اسمه «زينب» وكان الفيلم صامتًا بطولة سراج منير – بهيجة حافظ – زكى رستم – وكان ذلك عام ١٩٣٠م .. ويعتبر فيلم زينب أول فيلم مصرى عن رواية مطبوعة.. فقد أُخذ الفيلم عن قصة زينب لمحمد حسنين هيكل باشا.. وقد اشتهر اسم المخرج محمد عبد الكريم باسم فنى هو «محمد كريم».. ولما نطقت السينما المصرية فى عام ١٩٣٢م .. استطاع محمد كريم أن يجذب يوسف وهبى إلى أضوائها وقدم له أول فيلم مصرى ناطق وهو فيلم «أولاد الذوات» وقصة الفيلم مأخوذة عن مسرحية بنفس الاسم قدمها يوسف وهبى على مسرح رمسيس.. وقد لاقى هذا الفيلم نجاحًا كبيرًا.. سواء من الناحية المادية أو الأدبية.. مما شجع يوسف وهبى إلى الاهتمام بالسينما والابتعاد عن المسرح( ).. حتى حل فرقته رسميًا عام ١٩٣٤م .

ولا شك أن يوسف وهبى عدم تركيزه على المسرح وانشغاله بالسينما أثر على المسرح فى مصر.. بل وهز ممثلين المسرح بعنف.. وشعروا بالضياع والتشرد مما جعلهم يشكلون فرقة عُرفت بأثمار الممثلين عام ١٩٣٤م كان من أعضائها

جورج أبيض – أحمد علام – زينب صدقى – فتوح نشاطى.. وغيرهـم.. ولكن لم يكن هنـاك الإدارى الحازم الذى يعرف كيف يُسـير هذه الفرقة مثل فرقة رمسيس.. وكانت النتيجة الفشل الذريع لهذه الفرقة.. وعاد الممثلون يشعرون بالضياع.. وبحثوا عن شخصية معجزة أخرى تجمعهم وتلم شملهم وتُعيد لهم كيانهم.. كشخصية يوسف وهبى.. ولكن هل يوجد اثنان اسمهما يوسف وهبى.

وفى هذا المجال لا يسـعنى أن أدافع عن يوسف وهبى.. بل أقول عنه كلمة حق وقد رحل عن دنيانا.. فرغم كل الذين هاجمـوه إلا أنه كان يحق بمبعوث العنايـة الإلهية.. لإنقاذ المسرح المصرى من الضياع.. وهو صاحب البصمات الواضحة عليـه.. والتى لازالت آثارها موجودة على المسـرح المصرى حتى الآن.. ويكفى يوسـف وهبى فخرًا.. أنه لما تخلى عن ميدان المسـرح لم يجد الممثلون فردًا شجاعًا وإداريًا حازمًا.. ليحل محل يوسف وهبى فلجئوا إلى الدولة التى تبنت أفراد فرقة رمسـيس وأسست لهم الفرقة القومية ولكن هل نجحت الدولة فيما نجح فيه يوسف وهبى.؟

فرقة فاطمة رشدى وعزيز عيد:

كانت شخصية يوسف وهبى هى الشخصية اللامعة والجارفة والطاغية على ما عداها فى فرقة رمسيس.. لذلك كثر النقد والهجوم عليها.. وانشق عليها الكثيرون.. كان من بين المنشقين عزيز عيد مستشارها الفنى الذى أراد أن يملى شروطه على الفرقة.. ويُسير أمورها حسب إرادته.. بل ويختص لنفسه أدوارًا لا تصلح له.. مما أثار حفيظة يوسف وهبى.. واختلفا.. وانشق عزيز عيد على يوسف وهبى.. وأسس مع زوجته فاطمة رشدى فرقة «فاطمة رشدى» التى بدأ نشاطها عام ١٩٢٧م وكان من بين أعضائها حسين رياض – بشارة واكيم – سونيا إبراهيم – عبد السلام النابلسى وغيرهم.. ولم تستمر هذه الفرقة كثيرًا .. وأصابها الكساد الذى أصاب المسرح المصرى فى بدايات الثلاثينات.. وانتهت فرقة فاطمة رشدى التى تعتبر الفرقة المنافسة الأولى لفرقة رمسيس فى الفترة من ١٩٣٢م إلى ١٩٣٧م .

أسباب أخـرى لكساد المسرح المصرى فى الثلاثينات:

كانت للنكبة التى أصابت الديمقراطية وإلغاء الدستور وحل المجالس النيابية والكساد الاقتصادى من الأسباب التى أدت إلى ابتعاد الجمهور عن المسرح المصرى.. وخاصة أن الشعب شـعر بأن المكاسـب الضئيلة التى تحققت بعد ثورة ١٩١٩م بدأت فى التقلص.. لذلك كان الشـعب يفكر فى مصيره.. ولم تعـد الميلودراما والفردية تسـتهويه.. فها هو طوال سـنوات اقتربت من العشـر وهو ينتظر المعجزة التى قد تحدث وتغير مصيره كما يجد فى الميلودراما.. ولكن المعجزة والمفاجأة لم تحدث.. وبالتالى لم يعـد يتعاطف مع الميلودراما وغرق فى همومه مرة أخرى.. واتجه إلى الصالات حيث الاستعراضات ومخاطبة الجسد.. وبدأت الصالات تكثر وتزداد وتنتشر فى حى روض الفرج وفى حي (وش البركة) بمنطقة (وسط العاصمة) .